الصوفية والإصلاح السياسي

في عام 1994م أنشاء الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون مركز (نيسكون) لتحليل التحديات السياسية التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية في الخارج، وكان من أهم أولويات هذا المركز القيام بإعداد بحوث خاصة بالعالم الإسلامي، وكان أبرزها كيفية التعرف على الدور الذي يمكن أن يؤديه التصوف في خدمة السياسة الخارجية الأمريكية، وعقد المركز في مارس عام 2004م ندوة صدر بعدها تقرير بعنوان (فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية)، وكان من المشاركين في تلك الندوة رشيد قباني أحد المنتمين للطريقة النقشبندية.

وفي مصر الذي يعلم الجميع دور الأزهر في تثبيت دعائم الحكم فيها، اختار الرئيس السابق أنور السادات لنفسه لقب "الرئيس المؤمن" و كان حريصا على الظهور بمظهر الإنسان المتدين الذي يحافظ على الصلاة ويجمع حوله عدد من علماء الأزهر و يمسك دائما مسبحة في يده، ويشارك في احتفالات المولد النبوي، يقول في ذلك الكاتب على بكساوي أصبحت كل الأنظمة الحاكمة تضع عينها على القيادات الشعبية الإسلامية لتوجيه الناس من خلالها، وفي عهد محمد على باشا صدر قرار يقضي بتعين مشرف على جميع الطرق الصوفية والزوايا والمساجد التي بها أضرحة يكون له الحق في وضع مناهج التعليم التي تعطى فيها، وذلك كله في محاولة لتقويض سلطة شيخ الأزهر وعلمائه، وقد تطورت نظمه وتشريعاته وجاء الاستعمار البريطاني ليبدأ اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في تقاريره السنوية بوصف الصوفيين بالمسلمين (العقلاء) وأنشأ لهم المجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر وأصبحت الطرق الصوفية هي الممثلين للمسلمين في الدولة.

وفي عهد جمال عبد الناصر شن الزعيم القومي العربي حملة ضُد جماعة الإخوان المسلمين وقتل فيها الكثيرين ووضع عشرات الآلاف في السجون، ووقفت مشيخة الطرق الصوفية مع عبد الناصر في صراعه ضد الإخوان المسلمين، وفي ديسمبر 1967م سار أكبر موكب صوفي رسمي في مصر تأييدا لعبد الناصر في أعقاب هزيمة 5 يونيو 1967م .

وفي عهد الرئيس المخلوع محمد حسنى مبارك استفادة الصوفية في مصر كثيرا فقد صدر قانون لتنظيم انطرق الصوفية في 1976م ينص على اختصاص المجلس الأعلى للطرق الصوفية بإصدار تصاريح إقامة الموالد ومجالس الذكر وسير المواكب والاحتفالات في المواسم والأعياد الدينية، وتحرص الدولة على حضور مثل هذه الاحتفالات والترويج لها في وسائل الإعلام المحلية.

وفي أغسطس 2010 م قالت صحيفة المصريون :" إن 16 من مشايخ الصوفية عقدوا اجتماعا مع سكرتير السفارة الأمريكية بالقاهرة ، واتفقوا و على رأسهم الشيخ علاء أبو العزائم، خلال الاجتماع الذي عقد بمقر الطريقة العزمية بمنطقة السيدة زينب- بحضور ممثل لجهاز مباحث أمن الدولة- مع ممثل السفارة الأمريكية على أن تستضيف الإدارة الأمريكية مشايخ الصوفية على نفقتها الخاصة، لتنظيم العديد من الفعاليات والأنشطة، والقيام بزيارات إلى الولايات المتحدة لنشر الصوفية بين المسلمين الأمريكيين.

وقال الشيخ محمد عبد المجيد الشرنوبي إن ممثل الإدارة الأمريكية طالب باستمرار اللقاءات والتنسيق بين الجانبين، معتبرًا أن نموذج الإسلام الصوفي يمثل الإسلام المقبول والمرحب به في الولايات المتحدة لكونه إسلاما وسطيا ومعتدلا".

وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية تأكيدا لما توصلت إليه مؤسسة راند البحثية الأمريكية RAND Corporationأحد أهم المؤسسات الفكرية الأمريكية.

ويسعى الغرب والإدارة الأمريكية من خلال ذلك إلى مصالحة التصوف الإسلامي ودعمه من أجل عدة أهداف أولها يبدأ توسعي الشرق الموجود بين التيارات الإسلامية في العالم، و ثانيا إحلال الصوفية كبديل عن الإسلام السياسي وإقصاء الدين عن الحياة العامة نهائية وتهميشه.

ويقول تقرير مؤسسة راندل الذي صدر عام 2007 م إن احتواء المد الإسلامي لابد أن يكون بواسطة إدارة صراع فكري ضد التيار الإسلامي يقوم به فريق من داخل المجتمع المسلم يتمثل في العلمانيين والحداثيين والتيار التقليدي المعتدل الذي يصلي في الأضرحة ويميل إلى التصوف.

وفي شهر نوفمبر عام 2007 قالت صحيفة اللواء الأردنية إن السفير الأمريكي ريتشارد دونى حرص على حضور الاحتفالية الكبرى لمولد (السيد البدوى) بمدينة طنطا للعام الثالث على التوالي وسط مشايخ الطرق الصوفية يكشف بجلاء حجم الاهتمام الكبير الذي توليه أمريكا في دعم التيار الصوفي في مصر والمنطقة العربية من منطلق أن الإسلام الصوفي هو الإسلام المعتدل الذي يتماشى مع مشروعها في المنطقة ولخلق كتلة سياسية من الصوفيين تكون بديلاً لكتلة الإخوان تحت قبة البرلمان المصري.

مؤتمر (التصوف منهج أصيل للإصلاح)

قبل أسبوع كان يعقد في العاصمة المصرية القاهرة وفي قاعة المؤتمرات الكبرى بالأزهر مؤتمر تحت عنوان (التصوف منهج أصيل للإصلاح) بحضور رموز الحركات الصوفية في العالم العربي والإسلامي، و استمر المؤتمر من 26 شوال وحتى 28 شوال، وفي ذلك يطرح تساءل مفاده أن الخطاب الإصلاحي الذي يطرح من قبل مشايخ التصوف في العالم العربي في وقت تعيش فيه الأمة حالة ثورة تضعها على طريقها الصحيح وتهمش الدور الغربي في التأثير عليها وتجعل (إسرائيل) تفكر في

مستقبلها الغامض بسبب التحولات الحالية، وكذلك رعاية الأزهر لهذا المؤتمر واحتضانه، لماذا يعقد الآن وفي مصر بالتحديد؟

مصر التي هي كنانة الله في أرضه، والتي تتمركز في مقدمة الأمة تعيش مرحلة صراع سياسي يكاد يكون مفصلي ينقلها من دور غيب فيه شعبها وصُدر قرارها من قبل الإدارة الأمريكية و قيادة سياسية لم تنظر سوى لمصالح الغرب، يأتي هذا المؤتمر بتنظيم (أكاديمية الإمام الرائد للدراسات 'لتصوف وعلوم التراث) وهي تابعة للعشيرة المحمدية وهي طريقة صوفية شيخها هو محمد زكي إبراهيم ، ليشير إلى مرحلة قد يكون مشايخ التصوف جزء من الصراع السياسي على السلطة فيها ليس بشخوصهم ولا بأحزاب قد يرتدون لباسها وإنما بأفكارهم وبدعم غربي وأمريكي وخصوصا بعد أن بدأت الثورات في إضعاف التدخل الأمريكي ونقل الشرق الأوسط إلى مرحلة جديدة ستؤثر سلبا على مصالح الغرب في المنطقة.

وبحسب تقرير المؤتمر فقد شارك فيه أكثر من 300عالم من 35دولة عربية وأجنبية، وحمل مضامين وطروحات (إصلاحية) كما وصفها الحاضرين، و من أبرز أهداف المؤتمر كان ضرورة الإصلاح في المرحلة الراهنة من تاريخ الأمة، وطرح أهمية الخيار الصوفي في ضوء الخيارات المتاحة للإصلاح، كما حدد من أهدف المؤتمر إصلاح التصوف كي يمكنه 'لقيام بدوره في الإصلاح، و (إعادة طرح العلاقات الدولية على أسس روحية وقيم أخلاقية).

والغريب في الأمر أن المؤتمر أخذ زخما إعلاميا واسعا بالإضافة إلى أنه الأول من نوعه للتيار الصوفي في إطار العمل الدولي، وكذلك توجيه دعوات إلى معظم القوي السياسية الفاعلة في الحراك المجتمعي الإسلامي وغيرها.

ونقلت بعض التصريحات عن الحضور من بينهم محمد عصام الدين الذي قال (إن التصوف ليس مذهبا وأن الصوفية ليست فرقة بل هي عقيدة المسلم في مشارق الأرض ومغاربها). وكذلك الدكتور حسن الشافعي أمين عام المؤتمر

ومستشار شيخ الأزهر الذي صرح (بأن وظيفة التصوف العمارة وبناء الحضارة والدفاع عن مقدسات الأمة).

أما وزير الأوقاف المصري محمد عبد الفضيل القوصي فقد طالب بتجديد الخطاب الصوفي المعاصر وتغير مصطلحاته وتحويل السلوك الصوفي إلي سلوك عملي وتوحيد الخطاب الصوفي إلي العالم الغربي مؤكدا على أن الطرق الصوفية.

وجاءت دعوة السيد عبد الهادي القصبي شيخ مشايخ الطرق الصوفية إلى كل التيارات الوطنية والإسلامية إلي التوحد والتوافق من أجل مصلحة البلاد والتصدي إلي محاولة التعدي على إرادات الشعوب في سوريا واليمن لتطرح دعوة لها بُعد سياسي يمكن أن يمهد لخطوات قادمة في مستقبل النزاع السياسي في مصر.

وذكر أبرز دعاة الصوفية الشيخ على الجفرى أن إقامة هذا المؤتمر في مصر يحقق النهضة للأمة، مضيفا أن الحكام الذين سفكوا دماء الشعوب في اليمن وسوريا فعلوا ذلك لغياب التزكية عنهم.

من جانبه قال الدكتور عبد الرحمن البر عضو مكتب الإرشاد في جماعة الإخوان المسلمين (يجب على الصوفيين الانتقال من الكلام النظري إلي الواقع العملي والتنفيذي وعدم اختزال العبادة في الذكر).

وكان من أبرز الحضور في المؤتمر الشيخ حسن الشافعي نيابة عن شيخ الأزهر و الدكتور على جمعة مفتى مصر، و وزير الأوقاف د.محمد عبد الفضيل القوصي، و شيخ مشايخ الطرق الصوفية السيد عبد الهادي القصبي، و مفتي مصر السابق د.نصر فريد واصل، و عصام البشير وزير الأوقاف السابق في السودان، و عبد الله بن بيه (اتحاد علماء المسلمين من موريتانيا)، ومن اللافت في هذه المؤتمر الذي من المفترض أن يكون لبحث مستقبل الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي في ظل المرحلة السياسية الحالية هو توجيه دعوة للبابا شنودة لحضور المؤتمر و حضره عنه الأنبا مرقص،

وكذلك توجيه دعوة لعصام شرف رئيس الوزراء المصري ولكافة الأحزاب السياسية العلمانية في مصر.

وكان من أهم محاور المؤتمر التي طرحت الحاجة إلى الإصلاح و تشخيص أحوال المجتمعات العربية سياسيا واقتصاديا وفكريا ، ومناهج الإصلاح الممكنة وأهمية الخيار الصوفي، و التصوف كمنهج للإصلاح، و التصوف والإصلاح (الاقتصادي – السياسي – الاجتماعي).

وقدمت كذلك مجموعة من الأبحاث بعناوين مختلفة، وكلها كان يبحث في آليات إصلاح التصوف، وتأثير التصوف في المجتمعات الأوروبية، وكذلك تأثيره على الأسرة والفرد.

وفي ختام المؤتمر طالب الحضور بضرورة الاعتراف بدولة فلسطين، بالرغم من أن فلسطين التي يريد القائمين على المؤتمر الحصول على اعتراف دولي بها قد سرق 78٪ من أرضها.

وكذلك من نتائج المؤتمر تأسيس أول إتحاد صوفي عالمي يضم الطرق والهيئات والمؤسسات والمنظمات بهدف توحيد الصف، وتعديل القانون رقم 118 لسنه 1976 الخاص بالطرق الصوفية في مصر ليتضمن قصر ولاية شيخ مشايخ الطرق الصوفة لتصبح لفترة واحده أو اثنين على الأكثر. و ضمان استقلال المشيخة الصوفية عن الدولة، كما أشاد بيان المؤتمر بالدور الفاعل للمشيخة العامة للطرق الصوفية وثمن خطاب رئيس المشيخة معتبرين ذلك ركيزة أساسية لنهضة إصلاحية.

ودعا القائمين على المؤتمر إلى إنشاء قناة فضائية تهتم بقضايا الأخلاق والقيم الروحية ونبذ العنف والتطرف والغلو ، وبين البيان الصحفي الذي صدر عن المؤتمر ضرورة عقد المؤتمر بصورة دورية سنويا.

obeikandl.com

ومن خلال التأمل في أهداف المؤتمر وطبيعة الحضور ونوعية الرسالة التي يمكن أن تفهم منه، فإننا نجد أن الصوفية وكيفية نقلها للواقع السياسي في الشرق الأوسط هي الغاية الوحيدة لهذا المؤتمر، لأن الحضور الحكومي المصري بهذا الشكل يفسر على أنه دور رعاية لهذا المؤتمر الهدف منه تشجيع المشايخ الصوفية على المشاركة في النزاع السياسي الموجود بعد خلع مبارك، وكذلك فإنها فرصة جيدة بالنسبة للإدارة الأمريكية، لأن العاطفة الدينية لدى الشعب المصري سيكون أمامها عدة خيارات في الانتخابات القادمة بدلا من خيار واحد تعتبره الولايات المتحدة لا يتماشى مع طموحاتها في المنطقة العربية وهم الإخوان المسلمين والسلفيين، لذلك فإن الحكومة المصرية والأزهر يحاولان إيجاد خيار جديد للشعب المصري من خلاله تقل فرص الإخوان والسلفيين من الفوز في الانتخابات القادمة، وكذلك يوفر غطاء إعلامي كبير لمشايخ الصوفية للقيام بدورهم الذي يريده أصحاب القرار لكي تصبح السلطة بيد (الإسلاميين العقلاء) في نظر الغرب.

* * *

حقيقة علم التصوف وأقوال العلماء والعارفين فيه :

إن حقيقة علم التصوف كما قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه الأنوار القدسية : هو العمل بالعلم والشريعة الإسلامية على وجه الإخلاص والصدق ، ولو رجعت إلى رجال التصوف الأوائل الذين أسسوه كانوا كلهم علماء عاملين دعاة إلى الله ساروا إلى الله بالكتاب والسنة المطهرة فلذلك ظهرت أنوارهم وبقيت آثارهم فالتصوف حقيقة أن تتعلم العلم الشريف الذي هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة ثم يعمل بهذا العلم الذي تعلمه ثم يسعى لاكتساب الصدق والإخلاص وذلك يكون بالاستعانة بالله تعالى والعكوف على الذكر والعبادة لتصفية الروح وتزكية النفس وشفاء القلب السقيم فلا تصوف بدون علم ولا ينفع العلم بلا عمل ومن قال بغير هذا فهو ليس من التصوف في شئ ولكي يتوضح معنى التصوف

وحقيقته لابد من سرد أقوال بعض العلماء والصالحين التي تبين لنا حقيقةُ التصوف وإليك بعض الأقوال :

فهذا هو إمام أهل السنة الأمام احمد بن حنبل رحمه الله يقول : (لولده عبد الله يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة ويقول عن الصوفية لا أعلم أقواماً أفضل منهم) كتاب تنوير القلوب ص 405 وغذاء الألباب لشرح منظومة الآداب للسفاريني 1\120

وهذا هو حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله يقول : (ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق) . كتابه المنقذ من الضلال صفحة 49

وهذا هو سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمة الله يقول : (قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تتهدم دنيا وأخرى وقعد غيرهم على الرسوم) كتاب نور التحقيق للشيخ حامد صغر ص 96

ويقول الأمام مالك رحمة الله تعالى :) من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق) من حاشية العلامة على العدوي على شرح الأمام الزرقاني على متن العزبة في الفقه المالكي ، وشرح عين العلم وزين الحلم للأمام ملا علي قاري .

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : (حبب إلى من دنياكم ثلاث : ترك التكلف وعشرة الخلق بالتلطف والإقتداء بطريق أهل التصوف) . من كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للأمام العجلوني

وهذا هو الأمام الحجة شيخ الشافعية النووي رحمه الله وهو ثقة بإجماع الأمة يقول : (أصول طريق التصوف خمسة : تقوى الله في السر والعلانية ، إتباع السنة في

الأقوال والأفعال ، الأعراض عن الخلق في الإقبال والأدبار ، الرضا عن الله تعالى في القليل والكثير ، الرجوع إلى الله في السراء والضراء) كتاب مقاصد الإمام النووي والتوحيد والعبادات وأصول التصوف ص 20

قال العلامة الكبير والمفسر الشهير الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى : الباب الثامن في أحوال الصوفية " : أعلم أن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية ، وهذا طريق حسن ، وقال أيضاً : والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية ، ويجتهدون ألا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم وأعمالهم ، منطبعون على كمال الأدب مع الله عز وجل وهؤلاء هم خير فرق الآدميين . في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين

وتحدث الأمام أحمد ابن تيمية رحمة الله تعالى عن تمسك الصوفية بالكتاب والسنة فقال : (فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان الدارني ، ومعروف الكرخي ، والسري السقطي ، والجنيد بن محمد ، وغيرهم من المتقدمين ، مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ حماد ، والشيخ أبي البيان ، وغيرهم من المتأخرين فهم لا يسوغون للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين ، بل عليه أن يعمل المأمور ويدع المحظور إلى أن يموت . وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وهذا كثير من كلامهم) . الجزء العاشر من مجموع فتاويه

وقال تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى تحت عنوان الصوفية : حياهم الله وبياهم وجمعنا في الجنة نحن وإياهم وقد تشبعت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها ، بحيث قال الشيخ أبو محمد الجويني : لا يصح الوقف عليهم لأنه لا حد لهم . والصحيح صحته ، وأنهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة .... ثم تحدث عن تعاريف التصوف إلى أن قال : والحاصل

أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجي الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهمْ، فرضي الله عنهم وعنا بهم . كتابه معيد النعيم ومبيد النقم

وهذا هو الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى يقول : إن كثيراً من الجُهَّال يعتقدون في الصوفية أنهم متساهلون في الإتباع والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه مما يقولون به ويعملون وحاشاهم (الصوفية) من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به فأول شي بنوا عليه طريقهم إتباع السنة واجتناب ما خالفها ، الاعتصام لشاطبي.

وهذا هو الإمام السيوطي رحمه الله تعالى يقول : أن التصوف في نفسه علم شريف وأن مداره على أتباع السنة وترك البدع وعلمت أيضاً أنه قد كثر الدخيل فيه من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم فأدخلوا فيه ما ليس منه فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع ، كتاب تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص57 .

وقال الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى : (فأصبحت راغباً في مذهبهم ، مقتبساً من فوائدهم قابلا لآدابهم ، محباً لطاعتهم ، لا اعدل بهم شيئاً ، ولا أوثر عليهم أحداً ، ففتح الله لي علما اتضح لي برهانه ، وأنار لي فضله ، ورجوت النجاة لمن اقرَّ به أو انتحله ، وأيقنت بالغوث لمن عمل به ، ورأيت الاعوجاج فيمن خالفه ، ورأيت الرَّيْن متراكماً على قلب من جهله وجحده ورأيت الحجة العظمى لمن فهمه ، ورأيت انتحاله والعمل بحدوده واجباً علي فاعتقدته في سريرتي ،وانطويت علية بضميري ، وجعلته أساس ديني وبنيت عليه أعمالي وتقلَّبْت فيه بأحوالي وسألت الله عز وجلَّ أن يوزِعَني شكر ما أنعم به علي وان يقويني علىَّ القيام بحدود ما عرَّفني به ، مع معرفتي بتقصيري في ذلك ، وأني لا أدرك شكره أبداً) كتاب الوصايا ص 27 _32 للأمام أبي عبد الله الحارث المحاسبي المتوفى 243هـ .

وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى في علم التصوف : (هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية ، وأصلها العكوفُ

على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراضُ عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفرادُ عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف ، فلمَّا فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية) مقدمة ابن خلدون ص 328 .

ويقول ابن عابدين رحمة الله تعالى : (ولا كلام لنا مع الصُدَّق من ساداتنا الصوفية المبرئين عن كل خصلة رديَّة ، فقد سئل إمام الطائفتين سيدنا الجنيد : إن أقواما يتواجدون ويتمايلون ؟ فقال دعوهم مع الله تعالى يفرحون ، فإنهم قوم قطعت الطريق اكبادَهم ، ومزَّق النصبُ فؤادهم ، وضاقوا ذرعا فلا حرج عليهم إذا تنفسوا مداواة لحالهم) . الرسالة السابعة ، شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل ص 172_173 للفقيه الكبير ابن عابدين

وقال أبو الحسن الندوي رحمه الله في كتابه المسلمون في الهند : يقول أبو الحسن الندوي في كتابه المسلمون في الهند: " إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة، والتوبة عن المعاصي وطاعة الله ورسوله، ويحذرون من الفحشاء والمنكر والأخلاق السيئه والظلم والقسوة ويرغبونهم في التحلي بالأخلاق الحسنه والتخلي عن الرذائل مثل الكبر والحسد والبغضاء والظلم وحب الجاه، وتزكية النفس وإصلاحها، ويعلمونهم ذكر الله والنصح لعباده والقناعه والإيثار، وعلاوة على هذه البيعه التى كانت رمز الصله العميقه الخاصه بين الشيخ ومريديه إنهم كانوا يعضون الناس دائما، ويحاولون أن يلهبوا فيهم عاطفة الحب لله سبحانه، والحنين إلى رضاه، ورغبة شديده لإصلاح النفس وتغيير الحال

اعتقد أن أقوال هؤلاء العلماء بينت وبشكل واضح حقيقة التصوف وبينت أن التصوف هو علم شريف ومستمد من الشرع وقائم على الشرع ولا يخرج عن الشرع فكيف يأتي سفيه ويقول أن التصوف علم مبتدع وليس له أصل في الشريعة وهو زندقة ورجاله زنادقة أعتقد أن هذا الكلام لا يخرج إلا من جاهل وحتى لا يأتي

احد ويسرد لنا أقوال بعض المتصوفة التي تخلف الشرع ويحتج علينا بها فسنذكر أقوال رجال التصوف المعتمدين الكبار رحمهم الله تعالى لنبين حقيقة التصوف بشكل واضح وجلي فإليك أقوال العارفين أئمة التصوف بل ومؤسسي علم التصوف رحمهم الله تعالى :

فهذا هو سلطان الأولياء والعارفين سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله يقول :كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة هي زندقة ، طر إلى الحق عزَّوجلَّ بجناحي الكتاب والسنة ادخل عليه ويدك في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك العبادات المفروضة زندقة وارتكاب المحظورات معصية . الفتح الرباني ص 179 . ويقول كل باطن خالف ظاهراً فهو باطل

وهذا الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر باذي رحمه الله يقول: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الهواء والبدع ، وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق ، وحسن صحبة الرفقاء ، والقيام بخدمتهم ، واستعمال الأخلاق الجميلة ،والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات ، وما ضل احدٌ ف بهذا الطريق إلا بفساد الابتداء يؤثر في الانتهاء ، طبقات الصوفية ص 488

وقال الشيخ أبو بكر الكتاني محمد بن علي رحمه الله : التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف ، طبقات الصوفية ص 145

وقال سيد الطائفتين العارف بالله أبو القاسم الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته ،فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ، طبقات الصوفة ص 159

ويقول : (من لم يحفظ القران ولم يكتب الحديث لا يقتدي بـه في هـذا الأمـر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة)

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي عن الصوفي : إنَّ سالك سبيل الله قليـل والمدعي فيه كثير ونحن نعرفك علامتين له ، الأولى : أن تكـون جميـع أفعالـه موزونـة بميزان الشرع موقوفة على توفيقاتـه إيـرادا وإصـدارا وإقـداما وإحجامـا إذ لا يمكـن سلوك هذا السيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها والثانية : لا يصل فيـه إلا مـن واظب على جملة من النوافل فكيف يصل إلية من أهمل الفرائض .

وقد أثر عن السري السقطي رحمه الله تعالى أنـه كـان يقـول: التـصوف اسـم لثلاثة معاني هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعة ولا يتكلم بباطن في علم ينقـضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ولا تحمله الكرامات على هتـك أسـتار محـارم الله ويقـول : المتصوف لا يتكلم بباطن علم ينقضه علية ظاهر الكتاب والسنَّة .

وورد عن العارف بالله الشيخ أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى أنه يقول : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتـى تنظـروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة .

ويقول أبو الحسن الشاذلي رحمة الله : إذا تعارض كشفك مع الكتـاب والـسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك أنَّ الله تعالى ضـمن لي العـصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضها علي الكتاب والسنة إلى غير ذلك من الأقـوال الكثـيرة التـي تبـين إن الاسـتقامة عـلى الشريعة المطهرة هي أفضل من أي كرامة .

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره : لا يرتجي الوصول مـن لم يتبَّـع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله : من ألزم نفسه آداب السنةُ نـوَّر الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقـام متابعـة الحبيـب صـلى الله عليـه وسـلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه .

وقال الإمام سهل بن عبد الله التستري رحمه الله : أصول طريقتنا ـ أي مـنهج الصوفية ـ سبعة : التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصي ، لزوم التوبة ، وأداء الحقوق .

وقال أبو حفص احد كبار الصوفية : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقـت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال .

وورد عن العارف بالله الشيخ أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى أنه يقـول : قد درج أشياخ الطريق كلهم على أن أحداً منهم لا يتصدر في الطريق إلا بعد تبحـره في علوم الشريعة وقال الإمام أبـو القاسـم القـشيري رحمـه الله تعـالى في مقدمـة رسـالته المشهورة متحدثاً عن الصوفية : (جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضَّلهم عـلى الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وجعل قلـوبهم معـادن أسراره واختصَّهم من بين الأمة بطوالع أنواره ، فهم الغيـاث للخلـق ، والـدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بـالحق . صـفَّاهم مـن كـدورات البـشرية ، ورقَّـاهم إلى محـل المشاهدات بـما تجـلى لهـم مـن حقـائق الأحديـة ، ووفَّقهـم للقيـام بـآداب العبوديـة ، وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية ، فقـاموا بـأداء مـا علـيهم مـن واجبـات التكليـف وتحققوا بما مَنَّه سبحانه لهم من التقليب والتصريف ، ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعـالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار ، ولم يتَّكِلوا على ما حصل منهم من الأعمال أو صـفا لهم من الأحوال ، علما منهم بأنه جلَّ وعلاَّ يفعل ما يريد ويختار من يشاء من العبيـد ، لا يحكم عليه خلق ، ولا يتوجه عليه لمخلوق حق ثوابه ابتـداء فـضل ، وعذابـه حكـم بعدل ، وأمره قضاء فصل) . الرسالة القشيرية للأمام أبي القاسم القشيري ص2.

هذا شي من أقوال أئمة التصوف وأعلام الصوفية ونجدها كلها تدور حول إتباع الكتاب والسنة والابتعاد عما يخالفهما وكلها تدعو إلى مكارم الأخلاق ، وإلى الخوف من الله تعالى ، وإلى تقواه وابتغاء رضاه ، تدعو إلى السخاء والحاصل أنها تدعو إلى جماع الخير وتنهي عن جماع الشر وفي هذا تبين لنا حقيقة التصوف وهي أنه علم يقصد به صلاح المسلم والوصول إلى رضا الله والالتزام بالشريعة وترك ما خالفها بالكلية وهذه هي غاية خلق الإنسان على هذه الأرض وفي هذا بيان واضح لمن أراد أن يتعرف على حقيقة التصوف . فهل فيما ذكر شئ لا يرضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟! هل في هذا مالا يرضي العقل والدين ؟! اعتقد لا فهذا هو التصوف وهؤلاء هم الصوفية وما خالف هذا نضربه عرض الجدار بل ونضربه بنعالنا ونطئ علية تحت الثرى .

واختم بقول سيدي الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : (طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة فمن خالفهما فليس منا) وفي هذا القدر كفاية لمن أراد أن يعرف حقيقة التصوف والصوفية . فإن كان هذا هو التصوف فأي علم اشرف من هذا العلم والله أعلم .

***

operkandi.com